

١٨٠

تصبر

[البسيط]

ألا اصطباراً ليلي أم لها جلد؟
إذا ألقى الذي لاقاه أمثالي^(١)

١٨١

إعراض وصد

[الطويل]

أعقر من جرّاً كريمة ناقتي
ووصل لي مفروش لوصول منازل^(٢)
إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن
إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل^(٣)

= الشاعر، فانفجر باكياً لفراق الأحبة، فسوف يجتمع الآلاف وسوف يكون فراق، وتلك هي الحياة.

(١) ورد البيت في: المغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ١٥، ٦٩ (١٥، ٧٧)، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٢: ٣٥٨، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١: ١٤٧، الدرر اللوامع ١: ١٢٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢: ١٥. يسأل الشاعر نفسه أيسطيع الصبر على بعد ليلي ويتجلد؟ فإن كان كذلك فهذا بلاء، ولكنه إذا استمر مدى العمر، فلا بد من حدوث ما حدث للعشاق أمثاله من موت وعذاب وألم.

(٢) كريمة: اسم امرأة من بني قومه. يذكر الشاعر حدثاً سرّه في بدنه وساء في نهايته؛ ذلك أنه صادف وجود ليلي عند كريمة وأتراب لهنّ، فكان حديث عذب، وساد السرور جميعاً وأعجب الفتيات بحديثه، فعقر لهنّ ناقته وباشر بخدمتهنّ، ولسوء حظه إذ بفتى يسمى منازلًا يمر بهم، وسرعان ما تركت الفتيات قيساً وملنّ إلى منازل، فغضب وأنشد القصيدة. ومفاد قوله أنه ذبح ناقته من أجل إطالة بقائه إلى جانبهنّ، ولكن ذلك كان إيذاناً بمقدم منازل.

(٣) ومن طبيعة النساء لفت نظر من أحبين فإذا بهنّ يُحرّكن حليتهنّ فلفتن نظره إليهنّ؛ وتلك عادة أطلعت الشاعر على حقيقة مفادها عدم رغبتهنّ بحضوره.

- ولم تُغْنِ سِيجَانُ الْعِرَاقَيْنِ نَقْرَةً
 وَرُقْشُ الْقَلْنَسَى بِالرَّجَالِ الْأَطَاوِلِ ^(١)
- ولم تُغْنِ عَنِّي بُرْدَتِي وَتَجْمُلِي
 وَقَوْمِي وَنَسْلِي مِنْ كِرَامِ أَفَاضِلِ ^(٢)
- متى ما انتضلنا بالسَّهَامِ نَضَلُّهُ
 وَإِنْ نَرَمُ رَشْقاً عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي ^(٣)
- وإِنِّي مِنْ إِعْرَاضِهَا مُتَّالِمٌ
 قَلِيلُ الْعَزَا وَالصَّدُّ لَا شَكَّ قَاتِلِي ^(٤)

(١) ورد البيت في الخصائص، لابن جني ١: ٢٣٥. السيجان، واحدها ساج: الطيلسان الواسع المدور (فارسي). رُقْش، واحدها أرقش: منمنم تختلط فيه نقط سود وبيضاء. القلنسى مفردها قُلْنَسُوة: لباس الرأس (فارسي). يبدو أن الشاعر كان يهتم بمظهره الخارجي فيرتدي فاخر الثياب، وغالي الثمن منها. ورغم ذلك لم يلفت انتباه الفتيات ما كان يرتديه فلا طيالة العراقيين ولا القلانيس المرقطة، لباس عليه القوم كان عوناً له على منازل.

(٢) وكذلك فقد تأثيره لدى الفتيات ارتداؤه بردته وصبره لاستمالتهن؛ وبالذات ليلي، وحتى انتمائه إلى شجرة كريمة وحسب شريف؛ ما كان كل ذلك لجعلهن يملن إليه دون منازل.

(٣) انتضلنا بالسهم: تبارزنا. نرمي رشقاً: نترشق بالكلام. وإذا ما تبارينا بالسلاح تغلبت عليه، ولكنه يستطيع التغلب عليّ في الحديث الشيق أمام ليلي. والسؤال هل شاعر تستعصي عليه الكلمة وهو سيد الكلمة، وتلك ميدانه؟!!

(٤) والسؤال هل إعراض ليلي عن الشاعر لعدم الاهتمام به؟ أم لتعرف مدى حبه لها؟ فإعراضها يؤلمه، ولا من يُعزّيه؛ وتلك نكسة تترك في القلب غصّة، والصدأ أثره سبباً جداً يؤدي إلى قتله.